

## جورجياس او البيان

لافه طوره

للأستاذ محمد حسن ظاظا

- ٦ -

( تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جيباً بأن تكون « إنجيلاً » للفلسفة ! )

« ريشوفيه »

« دائماً تحيا الأخلاق الفاضلة دائماً وتنصر لأنها أقوى وأقدر من جيم الماديين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

### الأشخاص

- ١ - سقراط : بطل المحاورة : « ط »
- ٢ - جورجياس : السفسطائي : « ج »
- ٣ - شريفين : صديق سقراط : « سه »
- ٤ - بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
- ٥ - كاليكليس : الأثيني : « ك » (١)

( تابع ما قبله )

ج - وأضيف إلى هذا أنه إذا دخل طبيب وخطيب مدينة ما، ثم احتاج الأمر إلى الفاضلة بينهما أمام الجمهور المجتمع أو أمام أية هيئة أخرى، فإنه لن ينتبه أحد إلى الطبيب؛ وستفهم من هو قادر على الكلام إذا كان بالفعل كذلك. وقل بالمثل إذا ناقس الخطيب أي رجل من رجال المهن الأخرى؛ إذ دائماً ما يفضل الخطيب غيره مهما كان ذلك الغير. لأنه ليست هناك مادة

(١) انتهى جورجياس في العدد الماضي إلى قول مجيب غواه أن الخطباء هم أصلح الناس للكلام في شؤون الحرب من حصار وهجوم وتحصين، وأن الأطباء كثيراً ما فشلوا فيما قد نجح فيه أهل البيان! وسنرى اليوم كيف يطن سقراط آراء أفلاطون الخالدة في ضرورة الترحيب بالقدم ما دام هو الأداة التي تحرر العقل من ظنونه وأخطائه، وكيف ينتهي بسد ذلك على صاحبنا جورجياس فيوقته في التناقض المر الضحك. « الحرب ».

ما إلا ويستطيع أن يتكلم فيها أمام الناس بطريقة أكثر إتقاناً من طريقة أي صاحب مهنة أخرى مهما كان شأنه، والحق أن للبيان ذلك المرمى وتلك الخاصة، ولكن يجب ألا نستعمله مع ذلك باستقراط إلا كما نستعمل التدريبات الأخرى، ذلك أنه ولو أن الانسان يستطيع أن يتعلم بتلك التدريبات الملاكمة وطرق استعمال أسلحة الحرب الأخرى بطريقة تكفل له قهر الأعداء والأعداء على السواء، فإنه لا يجوز له أن يستعملها من أجل ذلك ضد الجميع، أو أن يضرب بها أصدقاءه ويطعنهم ويقتلهم! ولا يجوز لذلك الذي أكثر من التدريب في الملاعب، وكون فيها جسماً قوياً، وأصبح بين جدرانها مصارعاً مجيداً، لا يجوز له أن يضرب أمه أو أباه أو أحداً من أقرابه والديه وأصدقائه، وأن يبادى ويكره مدربي الرياضة والسيوف فيطردهم من المدن! إذ الحق أن هؤلاء المدربين لم يروضوا تلاميذهم بهذه التدريبات إلا بقصد أن يحسنوا استعمالها ضد الأعداء والأشرار، وفي الدفاع لا الهجوم! فإذا وجه التلاميذ بعد ذلك قوتهم وحيلهم إلى الشر على غير قصد أساتذتهم، فلا ينتج عن هذا أن أساتذتهم أشرار وأن فهم شرير، لأن الخطأ قائم فقط - كما أرى - فيمن يسيئون استعمال الفن؟

وهكذا نستطيع باستقراط أن نصدر نفس الحكم على البيان: إذ الحق أن الخطيب يستطيع أن يتكلم ضد الجميع وعن كل شيء لأنه أجدر الناس باقتناع الجماهير بما يريد، ولكن ما كان هذا ليساعده قط على تشويه اسم الأطباء وغيرهم من رجال المهن الأخرى لأن الأمر على تقيض ذلك تماماً؛ وإذا فلا يجب أن نستعمل « البيان » إلا وفقاً لقوانين المدالة كما هو الحال في التدريبات الأخرى. فلئن أساء أحدهم - ممن قد أعدوا له - استعماله كقوة وفن بقصد ارتكاب عمل ظالم، فلن يكون لنا الحق - فيما أظن - أن نتمدد على العمل وحده ونكره الأساندة الذين لقنوا الفاعل ذلك الفن ونفهم من المدن، لأنهم لم يلقوا بفهم بين يديه إلا بقصد أن يستعمله في أغراض ولأسباب عادلة، فراح هو يستعمله استعمالاً يناقض قصدهم تمام التناقض؛ وإذا فالعدل هنا أن نكره التلميذ السيء وأن نطاردته ونقتله، وليس العدل أن نفعل ذلك مع الأساندة!!

ط - أظن يا جورجياس أنك قد اشتركت مثلي في مناقشات

كثيرة قبل مجيئك بزمن طويل ، وإذا نحن عدنا إلى المناقشة فيها نانياً فسيذهب بنا القول بعيداً جداً . ولهذا يحسن أن نفكر فيهم حتى لا يبق منهم من يكون له عمل آخر يشتغل به أثناء الحديث (١) من — إنك لتسمعان بنفسك يا جورجياس وسقراط ذلك الصوت الذي يحدته الحاضرون ليكون شاهداً على رغبتهم في الانصات إليك إذا واصلنا الحديث وأرى من ناحيتي أنه لا يرضى الآلهة أن يكون لدى من الأعمال الكثيرة الهامة ما يضطرني إلى ترك مناقشة كلها الفطنة والنطق كما اشتغل بما هو أكثر ضرورة منها !

ك — لقد أصبت وحق الآلهة جميعاً يا شيريفين ! فإنا الآخر اشتغل بأعمال كثيرة ولكني لا أعرف منها أبداً عملاً واحداً يسبب لي من اللذة بقدر ما تسبب لي هذه المناقشة . ولعل هنا هو السر في أنك تطوقان جيداً بالفضل (يا جورجياس وسقراط) إذا شئنا وتناقشنا هكذا طوال اليوم !

ط — لن نجد يا كاليبس أية عقبة من ناحيتي إذا وافق جورجياس على المناقشة .

ج — ليكون طاراً على ألا أوافق بعد اليوم يا سقراط ، خصوصاً وقد ادعيت لنفسى القدرة على إجابة جميع ما يوجه إلي من الأسئلة ، فلنعد إلى الحديث ما دام في ذلك سرور للحاضرين واعرض على ما تراه جيداً بالمرض (٢)

ط — فأعرف إذا ما يدهشني من حديثك ! — وقد يكون أنك لم تغفل غير الحق وأنتى قد أسأت الفهم ! — إنك تدعى أنك تستطيع أن تجعل ممن يرغب في دروسك خطيباً !

ج — نعم  
ط — ومعنى ذلك أنك تجعله قادراً على الكلام في كل موضوع بطريقة ساحرة أمام الجماهير بحيث يقتنعهم دون أن يعلمهم !  
ج — تماماً (٣)

(ينبع) محمد حسن تلاطا

(١) يلاحظ هنا تهرب جورجياس وخوفه من أن يكشف سقراط عن أخطائه فياسلف له من قول في منزل كاليبس ، وهو لذلك يبنى الكلام في أشياء جديدة بحجة أن تاول القديم يصرف المستمعين عن المناقشة (٢) إنها الحيرة المتكبرة التي تحمل الأستاذ الضرور على هذا الرد الماكر (٣) هكذا تدخل المحاورة في موضوعها الأساسي شيئاً فشيئاً وأحب القاري الكرم قد بدأ يلس منا طراتها وإحكامها وجمال أسلوبها ودقة تفكيرها وتهكمها « العرب »

كثيرة ، وأنتك قد لاحظت فيها شيئاً : هو أن الناس عندما يشعرون في المناقشة يجردون مشقة كبيرة في تحديد أفكارهم من سائر النواحي ، وفي الوصول إلى موضوع المناقشة بتوضيحه لأنفسهم وتحقيقه على التبادل ، وإذا ما نشأ بينهم بعض التناقض وادعى أحدهم أن الآخر لا يتكلم إلا بقليل من الوضوح والحق ، فإنهم يفضيئون ويظنون أن المقاطعة إنما توجه إليهم يباعث الحسد وأن المرء إنما يتكلم بما مل الخسومة دون أن يبنى توضيحاً للقضية المدروسة . ولذلك ينتهي الأمر بضمهم إلى تبادل الشتائم المقدمة ثم الانفصال بعد الاحتكاك بشخصيات بيضه ممقونه ، كما ينتهي بالمشركين إلى (المساعدين) في المناقشة إلى أن يستكفوا من وجودهم في مثل تلك الأحوال (١)

فهل تدري لم أخبرك بذلك ؟ إنما أخبرك به لأنه بلوح لي أنك لا تتكلم الآن بتجو مجد وطريق بلثم تماماً مع ما قررت من قبل من اليان ! ؛ وأفهم أني إذا ما ناقضتك فسوف لا تقول إن قصدي هو أن أقاضك وأن أقوم في وجهك ، وإنما ستقول إن قصدي هو أن يتضح لنا فقط موضوع الحديث ! ؛ فإذا كنت تنظر للأمر كما أنظر إليه فسأسألك باعتباط ؛ وإلا فلن أذهب معك إلى أكثر من ذلك ، وهاك نظرتي : إنني من أولئك الذين يحبون أن يناقضوا عند ما لا يقولون الحق ، ولكنهم يحبون أيضاً أن يناقضوا غيرهم عند ما يرونهم حائذين عنه ، وليس سرورهم بعد هذا من مناقضة غيرهم لهم بأقل من سرورهم عند ما يناقضونهم غيرهم ! إذ الحق أني أعتبر المناقضة يا جورجياس خيراً عظيماً ، وأرى أن الأفضل لنا هو أن نخلص أنفسنا أولاً من أسوأ الشرور بدلا من أن نخلص غيرنا منها ؛ كما أني لم أعرف بعد وزراً يعدل وزير أن يكون لدينا أفكار خاطئة عن الموضوع الذي نعالجه (٢) ؛ فإذا كان حقاً ما تدعى من أنك مثلي في النظر والاستعداد فلنعد للمناقشة ، وإذا كنت ترى أنه يجب أن تتركها حيث وقفنا فليكن ما تريد ولينته الحديث

ج — إنني لأفخر يا سقراط بأنني من أولئك الذين صورتهم تصويراً ، ومع هذا فأحسب أنه يجب أن نمضي كذلك بأولئك الذين يشتركون معنا في الحديث لأنني قد شرحت لهم أشياء

(١) أليس ذلك ما يحدث اليوم تماماً ؟ فلنجن الرأس إذن لأفلاطون !  
(٢) أحسب عظمة هذا القول الخالد واضحة